زاد المجاهد

فكر المجاهد وروحيته

(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أهم ما لدى المجاهد من أسلحة فتاكة هي محدِّداتُه الفكرية والروحية والأخلاقية والتي بها يحقق النصر في معاركه الجهادية ضد الأعداء، وحين ينطلق من فكرٍ فاعل وروحيةٍ عالية وأخلاقٍ راقية تستمد قوتها وعنفوانها من هدي القرآن الكريم، وسير الأنبياء والائمة المصلحين، فإنه يكون قد حسم جزءا كبيرا من معركته ضد العدو، وما تبقى هو الجزء الأقل أهمية وهو جهده المادي، الذي يحتاج هو الآخر إلى هذه العوامل المعنوية ليكون فاعلا ومنعكسا بصورة ناجحة.

هذا الكتيب الثاني من سلسلة (**زاد المجاهد**) والذي يطرق بعض الموضوعات المهمة حول ما سبق، ينتفع به المجاهد حيث يعمل على تذكيره وتوعيته وتجديد وتفعيل روحيته الوثابة في معركة الخير والشر، ويساهم في تشكيل وعيٍ جهاديٍّ في أوساط المجاهدين الأبطال يحتاج المجتمع إلى عطائهم، على أن المجاهدين أنفسهم هم

المدرسة التي ينهل منها جميع الناس، وحين نكتب عنهم، فإنما نرد بضاعتهم إليهم.

أسأل الله أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما جهلنا، وأن ينصر المجاهدين، ويهزم أعداءهم أعداء الدين المعتدين الباغين، إنه القادر على كل شيء، نعم المولى ونعم النصير.

فكر المجاهد وروحيته

هناك من العقائد الدينية والفكر الإسلامي النير والقيم الروحية والأخلاقية ما يجعل المجاهد أكثر انطلاقا إلى الله وأحسن أداء في طاعته، وأفضل توثُّبا وقياما في مرضاته، بل لا يقبل الله عملك الجهادي إلا إذا كنت ترتبط به تعالى ارتباطا حقيقيا، تؤمن به وتتوكل عليه، وتؤمن برسله وأنبيائه وملائكته، وباليوم الآخر إيمانا قويا وفاعلا ينعكس على أعمالك كما ورد في الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة. وهذه بعض العناوين التي تشير إلى المجاهد النموذجي الفاعل والنشط، الذي انطلق مع الله بصدق ومعرفة.

أولاً: يستشعر معية الله دائما [لا تحزن إن الله معنا]

يشعر المجاهد شعورا فياضا بوجود الله معه، وبتأييده إياه، لأنه عندما انطلق في ميادين الجهاد انكسر وهو الضعيف أمام خالقه القوي الجبار، ليستمنحه القوة التي تمكّنه من القيام بما افترض عليه من التحرك، إنه - حين ينتمي العبيد إلى ولاءات قاصرة وغير قادرة ينتمي المجاهد إلى الله وحده لا شريك له، باعتباره أقوى الأقوياء، وجبار السماوات والأرضين وينكسر أمامه ويفرده بالقوة والقدرة والجبروت، حين لا يقر المجاهد بقوة لأحد من دون الله فإنه إنما يلجأ إلى القوي الجبار، ويسند حركته إلى العزيز القهار، إنه يشعر بوجوده معه في كل تحركاته.

حاصر كفار قريش النبي محمدا ﷺ ليفتكوا به، فأنجاه الله حيث كان معه، ثم أدركوه في الغار مع

صاحبه أبي بكر، وكانوا قاب قوسين أو أدنى من رؤيتهما والفتك بهما، فحزن أبو بكر، وخاف أنهم أصبحوا لقمة سائغة لهذه الذئاب المفترسة، لكن النبي ﷺ - وهو يعيش أقوى الشعور بوقوف الله معه- طمأنه أن الوضع مرتبط بتقدير الله وأنه بعين الله؛ لهذا أكرمه الله بالسكينة وأيده بجنود لم يروها، وأفشل حركة الكفار في آخر مطافها، وقد كادت أن تنجح؛ وذلك شأن الله مع من آمنوا به وأخبتوا إليه، حين تحاصرهم المنايا من كل جانب، وتحدق بهم أمواج البلاء من كل ناحية، حيث يدركون مع كل ذلك أن معية الله لهم ستفتح لهم آفاقا واسعة في النجاة والنصرة.

﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]. إن اعتقاد الرسول الكريم بمعية الله له في تلك اللحظات كان سببا في إنزال

السكينة عليه وتأييده بجنود غير مرئيين، وكان سببا في انتصار الحق على الباطل في هذه الجولة من الصراع الحتمي بينهما.

إن المجاهد - وهو يعيش حياة الجهاد التي تعني المغالبة والمقاهرة لأعداء الله- لا بد له أن يرتبط ارتباطا حقيقيا بالله، ويشعر أنه بعين الله الملك القهار، الذي لا يعجزه شيء، لقد أكد الله معيته للمؤمنين المجاهدين، وللمؤمنين الصابرين، وللمؤمنين المتقين، وللمؤمنين المحسنين، ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]، ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

يؤمن المجاهدون أن النصر من الله وحين ينصرهم فلا

غالب لهم، ولكنه حين يتخلى عنهم بسوء صنيعهم فلا ناصر لهم، ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٠]، إنهم يستشعرون عظمة الله وقدرته المطلقة ويعرفونه معرفة حقيقية، بيده مقاليد كل شيء، وهو من يدبِّر أمور هذا العالم، وهو من يسبِّب أسباب النصر، ويرسم نهايات الغلبة، وما المجاهد إلا عبد ضعيف من عبيد ذلك الإله العظيم، يؤدي ما أمره الله به، ويقدم ما بيده من الوسائل والجهود، ثم يطلب النصر من الله، ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [آل عمران: ١٢٦].

عليك إذًا أيها المجاهد أن تستشعر أن الله معك أينما كنت، يراك حيثما كنت، ويسمع نجواك، ويعلم سرائر قلبك، وخطرات نفسك، عليك أن تتذكر أن الله أرسل موسى وأخاه هارون إلى عدوهما الذي كان في الأصل يبحث عنهما ليفتك بهما ويقتلهما، فطمأنهما الله عز وجل بمعيته لهما، ﴿**قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ**

﴿وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، إن من حاز معية الله عز وجل فلن يقف في وجهه شيء مما دون الله سبحانه وتعالى، لهذا رأينا المجاهدين كالعواصف ينطلقون في مسيرتهم الجهادية بشوق وتلهف، لعلمهم أنهم ذاهبون في منهاج الله الذي ارتضاه لهم.

من علامات المجاهد الحق أنه يثق كل الثقة بالله سبحانه، وكيف لا يثق بخالق السماوات والأرض وجبارهما العالم بكل شيء والقادر على كل شيء، ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، قد يخطئ البعض إذ يضع ثقته في نوعية العُدة وكثرتها أو الجيوش أو القيادات المبدعة، متناسيا أنها مجرد أدوات مساعدة على النصر، وأن النصر من الله وحده، وكيف لا يثق المؤمن المجاهد في الله الحي القيوم الذي بيده قلب المعادلات المادية وإبطال تأثيرها ولو في اللحظات الأخيرة.

إن الثقة العالية في الله التي يتمتع بها المجاهد (**المعية لله**) هي التي تُكْسِبُه هذا التدخل الإلهي الكريم، هذا

نبي الله إبراهيم عليه السلام جاءه جبريل عليه السلام في أحلك موقف لما قذف به قومه في النار، فقال له: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال: إلى الله عز وجل، فقال: علمه بحالي يغنيه عن سؤالي، إن هذا يكشف عن ثقة مطلقة في الله حلت قلب هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ونتيجة لهذه الثقة غير المعهودة في بني البشر غيّر الله نواميس الكون واستبدلها بناموس غير معهود، لأنه أصلا هو من أعطى هذه النواميس تلك السببية، وهو الذي جعل السبب سببا، وهو القادر على سلبها ذلك، فنصر عبده ونبيه إبراهيم عليه السلام الواثق فيه بما لم يعهده البشر أيضاً، ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾ [الأنبياء: ٦٩]، إنها معية الله التي يحلّق فيها أولياء الله الصالحون، ولا يدركها الخاطئون.

وأدرك فرعونُ وجيشُه الجرار النبي موسى عليه السلام وقومَه بعد أن اعترضهم البحر بمائه، فلما انقطعت أسباب النجاة الظاهرية أمام أعين البسطاء من قوم موسى وانغلقت الآمال عليهم، قالوا: ﴿**إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾ لكن الولي الواثق بالله كان ينفتح له عبر معرفته لله تعالى

وثقته به ضوءٌ واسع يخرق تلك العتمة المظلمة والكثيفة التي كانت تملأ نواظر أولئك البسطاء وتمنعهم عن رؤية أي أمل ونجاة، لاحظوا كيف صور القرآن هذه الروحية العالية التي يجب أن يتمتع بها المجاهد: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، وعند هذه الثقة الخارقة تأتي المعجزة التي تخرق نواميس الكون، حيث فلق الله البحر، ليكون فيه نجاة موسى الواثق بالله ومن معه، وهلاك الطاغية فرعون الذي ظن أنه سيقتلهم ويسيطر عليهم.

يقول السيد الشهيد حسين بدر الدين الحوثي رحمه الله: اربط نفسك بالله رأسا، تجاوز كل هذه الأصنام في هذه الدنيا، وارتبط بالله رأسا، وثق به، وهو من سيجعلك قويا أقوى مما يملكه هؤلاء من وسائل القوة في هذه الدنيا، هو الله من يكون لك في كل المواقف بأكثر مما يمكن أن تدرك، سيملأ قلوب الآخرين رعبا بالشكل الذي لا يمكن أن تصنعه وسائل إعلامك، ولا يمكن أن تصنعه أيضا آليتك العسكرية، هو من نصر

نبيه ﷺ بالرعب بمسافة شهر، رغم قلة جيشه، نصره الله بالرعب حتى أن بعض أعدائه من اليهود خربوا بيوتهم، وقطعوا نخيلهم قبل أن يجيِّش الجيوش عليهم، وقبل إشعارهم بأنه يريد مهاجمتهم[١]. ذلك هو أثر الثقة في الله عز وجل ومعرفته حق المعرفة.

ثانياً: يؤمن بالله وينزّهه ولا ينوهمه

حين يتحرك المؤمن نحو الجهاد فهو بتأثير تفكيره الإيماني المبني على التأمل والنظر في مخلوقات الله ودلالتها على منشئها وخالقها والاعتبار بما جاء في القرآن من العبر والآيات، لقد أسلم المجاهد نفسه لله بعد أن عرفه معرفة يقينية فآمن بوجوده معه في كل لحظة وأنه المتصرف في شؤون هذا الكون والمدبر لكل ما فيه، وأنه الخالق لكل شيء فيه، بما فيه هؤلاء الأعداء الذي يجب جهادهم، وأنه القادر على التصرف في الجميع،

---

(١) ملزمة معرفة الله، عظمة الله، الدرس السابع.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

كما يتيقن المجاهد أن بيده تعالى مقاليد السماوات والأرض، وهو القادر على كل شيء والعالم بكل شيء، فهو القادر على نصرة الفئة المستضعفة إذا ما سلكت سبيل النصر الإلهي، الذي وضعه عالِم السماوات والأرض، فمن خلق الخلق جميعا، ويعلم كل شيء عنهم، فمن المؤكد أنه القادر على ترتيب الأمور في ما بينهم على النحو الذي يرضاه ويريده، ﴿عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الكَبِيْرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْم﴾ [الحديد: ٣]، ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وحين يتوجّه المشبِّهة والمجسِّمة إلى إلهٍ صنعوه من مخيلاتهم الرديئة فإن المجاهد يستمدُّ نصره وعونه من الله الذي لا يشبه أحدا من خلقه، يتقرب بتحركه الجهادي إلى خالقٍ قادر قوي جبار باينَ خلقَه بأنه خالقهم، وباينوه بأنهم مخلوقون له، ﴿**فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١]، الذي ﴿**لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: ١٠٣]، الذي يرسل ألطافه الخفية لرسم المشهد الأخير من مشاهد الصراع بين الحق والباطل، والنهاية المطلوبة في معركة الخير والشر بين حزب الله المجاهدين وحزب الشيطان الخاسرين.

إن الإيمان بالله حين يكون إيمانا قويا تظهر فعاليته على السلوكيات ويكون حافزا لصاحبه نحو الإنجاز الذي يرضي الله تعالى، والمجاهد حين يسلم نفسه لله ويؤمن بالله حق الإيمان، ينوِّر الله قلبه، ويُحْسِن خاتمته،

ويصطفيه إليه، روى الإمام جَعْفَرُ بن مُحَمَّدٍ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام أَنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ صَلَّى بالنَّاسِ الصُّبْحَ فَنَظَر إِلَى شَابٍّ فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَهْوِي بِرَأْسِهِ، مُصْفَرًّا لَوْنُهُ قَدْ نَحُفَ جِسْمُهُ وَغَارَتْ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّه ﷺ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا فُلانُ؟» فَقَالَ: أَصْبَحْتُ يا رَسُولَ اللّه مُوقِناً، قَالَ: فَتَعَجَّبَ رَسُولُ اللّه ﷺ مِنْ قَوْلِهِ، وَقَالَ لَهُ: «إِنَّ لِكُلِّ يَقِينٍ حَقِيقَةٌ فَمَا حَقِيقَةُ يَقِينِكَ؟» فَقَالَ إِنَّ يَقِينِي يَا رَسُولَ اللّه أَحْزَنَنِي، وَأَسْهَرَ لَيْلِي وَأَظْمَأَ هَوَاجِرِي، فَعَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ الرَّحْمَنِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ نُصِبَ لِلْحِسَابِ، وَقَدْ حُشِرَ الْخَلائِقُ لِذَلِكَ، وَأَنَا فِيهِمْ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا، وَيَتَعَارَفُونَ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يُعَذَّبُونَ فِيهَا يَصْطَرِخُونَ، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ الآنَ زَفِيرَ النَّارِ تَدُورُ فِي مَسَامِعِي، فَقَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ لأَصْحَابِهِ: «هَذَا عَبْدٌ نَوَّرَ اللّه قَلْبَهُ بِالإِيمَانِ»، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «إِلْزَمْ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ»، فَقَالَ لَهُ الشَّابُّ: ادْعُ اللّه لِي يَا رَسُولَ اللّه أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ

مَعَكَ، قَالَ: فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللّه ﷺ بِذَلِكَ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَاسْتُشْهِدَ بَعْدَ تِسْعَةِ نَفَرٍ وَكَانَ هُوَ العَاشِرُ[1]. إنه شاب صدق الله إيمانا فجازاه الله إحسانا وإحسانا.

ثالثاً: يتحرك في ظلال العدل والحكمة

يتحرك المجاهد إحقاقا للحق وإزهاقا للباطل، وتثبيتا للعدل في حياة الناس؛ ذلك لأنه يوقن أن الله عدل يحب العدل، ويكره الظلم، ﴿**إِنَّ اللّه لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ**﴾ [يونس: ٤٤]، حين كلفنا الله بالجهاد فإنما كلفنا به؛ لأنه حكمة وسداد، ولأنه قيمة عالية راقية يجب أن تسود حياة الناس، ولأنه خلُق راقٍ يصلح لاستقرار بني البشر فيؤدون المهام التي كلفوا بها، لقد شهد الله لنفسه بالعدل والوحدانية والحكمة والعزة، وشهد كذلك له الملائكة والعلماء، ﴿**شَهِدَ اللّهُ**

---

(١) أمالي الإمام أبي طالب.

أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، ويأتي القرآن الكريم ليأمر بالقيم الفطرية الإنسانية، وينهى عن القيم المنحرفة، اتساقا مع مفهوم العدل الإلهي وأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، **﴿إِنَّ اللّه يَأمُرُ بالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيْتَاء ذِيْ القُرْبَىْ وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ﴾** [النحل: ٩٠].

ويؤمن المجاهد أنه مسؤول عن تحركه الجهادي أيما مسؤولية، وأنه تحركٌ بمحض إرادته استجابة لدواعي الفطرة وللتكليف الإلهي، وحين يقضي على العدو ويقتله فلأنه كان مسؤولا عن الإفساد في الأرض، مانعا للمنهج الإلهي أن يسود في هذا العالم، **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحَاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّك بِظَلاَّمٍ لِلعَبِيْدِ﴾** [فصلت: ٤٦]، ويؤمن أن كل إنسان سيُجْزَى على عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ولا يحمل أخٌ وزر أخيه، ولا يتحمَّل والدٌ مسؤولية أخطاء ولده، **﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَومٍ لاَ رَيْبَ فِيْهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾**

[آل عمران: ٢٥]، ﴿وَلاَ تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وهذا الفكر ينعكس على أداء المجاهد نفسه فلا يأخذ والدا بفساد ولد.

ويـؤمن المجاهـد أن الله عنـدما كلفنـا بالجهـاد إنمـا كلفنـا بـه لتقـويم نـصاب الحيـاة المـضطرب وتـصحيح مسارها حين تفسد؛ لأنه ﴿وَمَـا اللَّـهُ يُرِيْـدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]، ﴿وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، ﴿وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وأي فساد وانحراف أعظم من فساد هذا العدوان السعودي الأمريكي على اليمن وشعبه والمسلمين فيه، وأي ظلم يجب مواجهته مثل هذا الظلم العالمي لشعب عادل وكريم ومعطاء، لا يرضى بالظلم لأحد، ولا يبيِّت العدوان على أحد.

وما أجمل المجاهد ضد هذا العدوان وهو يتحرك في حقله الجهادي العظيم متوكلا على الله مؤمنا بقضائه وقدره، يوقن أن الله معه، وأنه يرزقه من حيث لا يحتسب، لم يشغله همُّ الفقر عن واجبه، ولا أقعدته

أمواله عن فريضته، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِيْ الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، إنه وهو في تحركه العظيم والمقدّس لدفع الظالمين المعتدين والباغين الفاسقين إنما يهيئ للأمة جمعاء - وليس لنفسه فقط - أن تكون على حالة من اليسر والرفاه والسعادة، حيث سيساهم جهادُه في أن تستقوي الأمة وتستخرج خيراتها وتوزَّع ثرواتها على أفرادها توزيعا عادلا، سيعود على الجميع بالخير والنفع.

لقد باع المجاهد نفسه من مالكها الحقيقي وهو الله، فصدق مع الله البيع، وصدق الله معه في الشراء والجزاء، وإذا أصابته بلوى أو لحقت به جروح وآلام استشعر الشعور الإيماني العظيم بأن كل شيء في سبيل الله محفوظٌ ومرصودٌ، ومجازَىً عليه بأفضل الجزاء، وأنه كلما صبر في ذات الله كلما اقترب من الله أكثر، ويا له من خير عميم وأجر كريم، حيث ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُوْنَ أَجْرَهُمْ

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من وُعِكَ ليلة كفَّر الله عنه ذنوب سنة».

ومن جانب آخر يجب أن لا تأخذ المجاهد في دين الله بعدوه رأفة ولا رحمة، لأنه يعلم أن ما أصاب هذا العدو حيث يضاد الله في أرضه، ويقف في مواجهة الحق والعدل، إنما كان بتسليط الله له عليه، وأنه إنما يعجل له بعض العقوبة التي يستحقها أصلا، ﴿أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِيْ كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوْبُوْنَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُوْنَ﴾ [التوبة: ١٢٦]. ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

رابعاً: يعبر سلوكه عن إيمانه باليوم الآخر

إن المجاهد الحقيقي هو الذي وهو في الحياة الدنيا الفانية ينظر إلى الحياة الأخرى الباقية، التي هي الحياة الحقيقية الدائمة، فكلما تحرك أو نكص، أو قدم أو

أخر يقيسه بمقاييس الآخرة، ويضعه في موازينها، إنه دائم البحث عما يرضي الله، لا تطغيه الحياة الدنيا وشهواتها، ولا تستخفه أهواء النفس وملذاتها؛ ذلك أنه آمن بحتمية انتقاله إلى دار الجزاء والحساب والعقاب، ولهذا يكون مسارعا في مرضاة الله، مبادرا إلى التخلي عما يسخط الله، يؤمن بحتمية الحساب والعقاب، والمكافأة لكلٍّ بما يستحقه، باعتباره مظهرا من مظاهر العدالة الإلهية، ﴿**فَأَمَّا مَن طَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى، النازعات**﴾ [النازعات:٣٧-٤١]، ويسعى المجاهد للفوز برضاء الله في كل حركة يتحركها وفي كل عمل يقدِّمه؛ ذلك أنه يعني الفوز بالنعيم الأكبر، والنصيب الأوفر، إنه الخلود في نعمة الله ورضوانه، والنجاة من سخط الله وغضبه، ﴿**أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٦]، ﴿**وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ، وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ**﴾ [الانفطار: ١٤-١٦].

خامساً: يعتقد مسؤولية المكلفين واختيارهم

يتحرك المجاهد في سبيل الله وهو يعي مسؤوليته ويتحملها سلبا أو إيجابا، ويتبرأ من عقيدة الجبر التي تسنِد أعمال العباد خيرَها وشرَّها إلى الله تعالى، يرى خطأ هؤلاء الذين يعملون الفاحشة ثم يرمون بها الأبرياء، فيقولون إن الله أمرهم بها أو قدرها عليهم أو قضاها، كما حكى الله عن أشباههم من المشركين، ﴿**وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٨]، ويتحرك المجاهد في جهاده حركة دائمة ثقافية مندِّدة بالثقافة التي تشجِّع علي الممارسة الخاطئة، والسلوك المنحرف، الثقافة التي اختلقها الطغاة ليضربوا بها عنصر المسؤولية في حركة الإنسان على هذه الحياة، الثقافة التي تبرِّر للمجرمين ما هم فيه من الإجرام وتهوِّن عليهم ما يرتكبونه ضد الأمم، بتسويق عقيدة خاطئة هي الاعتقاد بأن الرسول ﷺ سيشفع للمجرمين،

أو أنه سيساويهم بالمطيعين الطيبين، ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

سادساً: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

إن المجاهد وهو في ساحات الجهاد وميادين التضحية ينطلق أصلا من عقيدة قرآنية راسخة كانت سببا في تحركه وانطلاقته، وينسجم مع فريضة أصيلة من فرائض الدين الحنيف، إنها فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنها فريضة الله عليه وعلى جميع المؤمنين، وما يقوم به من الجهاد هو سعي دؤوب نحو بناء الخيرات أو سعي دؤوب نحو نقض وإزالة المنكرات، وفي ذلك الفلاح والفوز والنصر، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

سابعاً: تائب منيب إلى الله

قد يهرب أحدنا إلى حياة الجهاد لا لقناعة فيه ولكن هروبا من مشاكل الدنيا وتعقيداتها، أو لهواية الحرب والقتال، وهذا المقاتل يؤذي نفسه أوّلا ويؤذي مجتمع المجاهدين ثانيا، حيث يتحرك بما لا ينسجم مع قناعاته وأهدافه، فللجهاد أهداف وغايات نبيلة، ولهذا العنصر غاية مختلفة أو لا غاية له؛ الأمر الذي يجعله دائما في نزاع نفسي، واضطراب عقلي، وتخبط سلوكي، وما أكثر مشاكله وإيذاءه لنفسه وزملائه في المجتمع الجهادي، وربما ظهر للناس بأساليبه وسلوكياته المنفّرة فحمّلوا المجاهدين والجهاد جميعا تبعتها.

إنه من غير المعقول أن يتحرك المجاهد لبناء مجتمع إيماني ملتزم بنور الهداية وأحكام الفضيلة مستنيرا بهداية الله في الوقت الذي لا يمضي هو على درب تلك الفضيلة، ولا يستضيء بنور تلك الهداية؛ لهذا فالتوبة

ركن أساسي من أركان التحرك الجهادي المثمِر والمفيد والذي يؤتي أكله بإذن ربه.

ويطلب الإسلام - دائما وبصورة ملحّة وحثيثة – من أبنائه المسارعة إلى التوبة النصوح، حيث هي البداية الصحيحة للتحرك الصحيح في المكان الصحيح ونحو الغاية الصحيحة.

ومع ذلك فإنه ينبغي التذكير أن انطلاق الرجل إلى الجهاد قد يكون سببا من أسباب اهتدائه وتوبته وتسديده من الله، إذا ما علم الله منه صدق التوجه وسلامة المقصد، والبعد عن الهوى، فالخير يهدي إلى الخير، ووضعُ المجاهدِ قدمَه في أرض الرباط مؤهِّل كبير للتوفيق والهداية والسداد، ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

لهذا يدرك المجاهد أهمية التوبة من حيث أنها تساعده على تصحيح وضعيته الجديدة في مجتمع الجهاد، وتقرِّبه إلى غايات الإسلام ومقاصده العظيمة، وتضع له

استراتيجيته العامة بأهمية أن يكون التحرك قلّ أم كثُر، جلّ أم عظم، لله تعالى وحده، وطبقا لمواصفاته ومقاييسه.

إن المجاهد حين يتوب إلى الله فإنما ينفتح على مصدر القوة الروحية الوحيد والهادي للطريق المستقيم، ويمكّن نفسه الضعيفة من طاقات ربانية هائلة تزوده بالتقوى والثقة والصبر ووضوح الرؤية وغاية المقصد ونبل السلوك، إن التوبة حركة تصحيحية أساسية تزوّد صاحبها بالغنى الروحي والغنى المادي وبأسباب القوة والتوفيق واللطف، وهي بوابة رئيسة تمكن المجاهد من الحصول على معية الله وقوته ونصره، يقول الله تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ**﴾ [هود: ٥٢]، يجب أن نلاحظ قوله تعالى: ﴿**وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ**﴾ في إطار تحركنا الجهادي الذي نحتاج فيه إلى القوة، وأفضلها القوة الروحية، أمام القوى الدنيوية التي ستتضاءل فعاليتها مهما عظمت أسبابها ومظاهرها.

كان أبو العتاهية حاكما على صنعاء، ورأى بعض الدلائل والكرامات التي تدل على فضل الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ت٢٩٨هـ) الذي ظهر بصعدة آنذاك، فانتفع بها وأضمر في نفسه التوبة ومتابعة الهادي ونصرته، فسلّم حكم صنعاء للهادي، وتاب توبة نصوحا، وأخلد إلى العبادة والزهد والجهاد، وأصبح أحد قادة الجهاد مع الإمام الهادي، وتاب إلى الله توبه نصوحا، توبة جعلته يرد أمواله الكثيرة التي ورثها عن أبيه إلى أهلها، فمثلا بعد أن استدعته امرأة ضعيفة لدى الهادي وحاكمته على أرضٍ كان قد أخذها أبوه على أبيها، وأقامت البينة على ذلك، حكم بها الهادي لها، فطاب أبو العتاهية بذلك نفسا، ورضي بحكم الله حكما، لقد أصبح يزهد عن المأكل والمشرب حتى أذاب لحمه، واغبرّ وجهه، وأزال ما كان يعلوه من النعمة والنضارة، حتى يضمن إزالة كل لحمٍ نبت من الحرام، ثم تتوّجت خاتمة جهاده الشريفة بأن أكرمه الله بالشهادة مع الهادي إلى الحق.

وهكذا هي التوبة حين تسلك في قلوب عباده التائبين

المخلصين، ومن أكثر قربا من الله من المجاهد الذي بذل نفسه لله، يمكنه أن يكون على هذا النحو الذي كان عليه أبو العتاهية في جهاده وسلوكه وزهده وقناعته وعبادته لله، وما أكثر أشباه أبي العتاهية في شهداء عصرنا الحاضر.

ثامناً: يخلص له الدين

وجد المسلمون بعد انتصاهم في معركة بدر في الجرحى الأُصَيرِم - عمرو بن ثابت - وبه رمق يسير، وكانوا من قبل يعرضون عليه الإسلام فيأباه، فاستغربوا، وقالوا له: ما الذي جاء بك، أحَدَبٌ على قومك، أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة في الإسلام، آمنتُ بالله ورسوله، ثم قاتلتُ مع رسول الله ﷺ حتى أصابني ما ترون، ومات من وقته، فذكروه لرسول الله ﷺ، فقال: «هو من أهل الجنة»، قالوا: ولم يصل صلاة واحدة. ووجدوا في الجرحي أيضا قُزْمَان - وكان قد قاتل قتال الأبطال؛ قتل

وحده سبعة أو ثمانية من المشركين ـ وجدوه قد أثبتته الجراحة، فاحتملوه إلى دار بني ظَفَر، وبشره المسلمون بما أعد الله له من الجنة، لكنه ردّ عليهم قائلا: والله ما قاتلت إلا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت، فلما اشتد به الجراح نحر نفسه، وكان رسول الله ﷺ يقول ـ إذا ذكر له: «إنه من أهل النار»[1].

إن فارق ما بين الرجلين هو فارق النية المخلصة، فذاك هداه الله للإيمان بما قدمه من أعمال سوية، فذهب إلى ربه كريما مبشَّرا بالجنة، وهذا ورغم أنه أثخن في الأعداء لكن كانت نيته أن يقاتل من أجل الأحساب، ولم يقاتل من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، فختم نفسه بالانتحار، واعتدى على حرمة الله، فذهب جهاده وحياته أدراج الرياح، نعوذ بالله من سوء الخاتمة ونسأله صلاح النيات.

المجاهد الحق المخلص يدرك أهمية تصحيح نيته في

---

(١) سيرة ابن هشام.

تحركه الجهادي، وأنه يجب أن يتخلى عن كل النوازع الشيطانية التي تناقض سمو الجهاد وغايته المقدسة، فلا يطلب من جهاده علوا ولا فسادا، ولا دنيا، ولا سمعة ولا شهرة، بل يجب أن تكون كل حركاته ومواقفه ابتغاء وجه الله، ويراقب فيها وجهه تعالى؛ ذلك أنه باع نفسه من الله وحده، ولا يجوز أن يشرك معه أحدا دونه، والله لا يقبل عملا مدخولا مغشوشا، أفسدته نية سيئة، وعبث به مقصدٌ خبيث؛ يقول الله تعالى: ﴿**هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [غافر: ٦٥]، ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة: ٥].

إنه الجهاد في سبيل الله، وأي جهاد في سبيل الهوى أو سبيل الشيطان، أو سبيل طاغوت، أو سبيل النفس الأمارة بالسوء، أو سبيل الشهرة والسمعة، أو سبيل أن يشار إليه ويقال فعل وفعل، فإنه ليس سبيلا لله، بل هو سبيل النفس الأمارة بالسوء وحظّها التعيس، وسيرمى بأعمال من شأنه كذلك مهما عظمت في وجهه.

لهذا فالمجاهد الحق يصحِّح نيته من أول يوم لتكون مستجيبة لداعي الله، سالكة به في منهج الله الذي ارتضاه لعباده المجاهدين، لتكون كلمة الله هي العليا، ولإقامة الحق، وإزهاق الباطل، وردع المعتدين، وكف بأسهم، وتحقيق الأمة التي يريدها الله تبارك وتعالى.

تاسعاً: يطلب الآخرة

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

يتحرك المجاهد لإصلاح أمور الدين والدنيا، ويريد أن تتحقق كرامة الله لعباده على هذه الأرض، وهو حين يتحرك ذلك التحرك فليس من منطلق أنه مأزوم نفسيا ويريد الانتحار والتخلص، كلا بل من منطلق الجهاد لأجل عمارة الحياة الدنيا بما يريده الله لعباده من سعادة ورقي وكرامة واستقامة على الفطرة، إن هذا الذي يريد أن يبقى في الدنيا ليستكثر فيها من الصالحات

والطاعات، لكن قد تقتضي منه الطاعات أن يسلك طريق التضحية وإمكانية أن يكون فيها شهيدا، فيبيع من الله نفسه التي هي في الأساس ملك له، إن الله أمرنا أن نصلح أمور دنيانا على النحو الذي يرضاه وبينه في منهجه، لكن هذه الدنيا لا تساوي شيئا عند الله وبالمقارنة بالآخرة، والمجاهد مستعد لأن يضحي بهذه الحياة القصيرة الفانية لكي يورث السعادة والعدالة والكرامة لسواه من الناس، لكي يهيئ الفرصة لمن سواه من المسلمين ليحصلوا على المجتمع والأمة التي يريدها الله تعالى، الدنيا في مفهوم المجاهد حين يضعها في مقارنة الآخرة تصبح لا شيء، تصبح حينئذ دار امتحان وبلاء، ودار ممر لا دار مقر، مدتها قليلة وهي ضئيلة فانية، وخاتمتها الحتمية الموت، سواء جاهد الإنسان أم لم يجاهد، لهذا يرفض المجاهد الارتهان لهذه العاجلة وملذاتها فيبيع نفسه رخيصة من الله مولاه، في سبيل أن يظفر بالآخرة، التي أهلها ﴿**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً**﴾ [الفرقان: ٢٤].

يجب أن نعمل في الدنيا خيرا، وحينئذ يكون لها قيمتها الإيجابية ومعيارها الحق، باعتبار أن المؤمن فيها يتخذها مزرعة للآخرة، لكنها مع ذلك بالنسبة للآخرة لا تساوي شيئا، يصورها القرآن تصويرا بليغا ورائعا، يقول تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

المجاهد يثق أن هذه الدنيا دار تخلية قد يغلب فيها أهل الباطل يوما، وقد يسود فيها الكفر حينا، ولهذا أعد الله للمعاندين لأوامره والمنتهكين لحدوده الخلودَ في العذاب الأليم، وبما أن الدنيا دار تكليف، والجهاد نوع عظيم من هذا التكليف، فإن الله كلّفنا به، لأنه خير الطرق وأقربها إلى رضوانه، وعند مقايسة الدنيا بالآخرة تصبح الدنيا لا شيء، فالجنة دار عظيمة لا ينالها إلا المتقون المجاهدون الصابرون، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا

﴿يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

إذن يدرك المجاهد أنه في الدنيا إنما يسعى لتحصيل رضوان الله بأن يبقى دائما في حالة جهاد مع الأعداء المختلفين، بدءا بنفسه الأمارة بالسوء إلى الأعداء المحاربين، وأنه لا نجاة له من عذاب الله، ولا فوز برضاء الله إلا بالالتزام بجميع أوامر الله وتجنب معاصيه، ولو أدى ذلك إلى ذهابه عن هذه الحياة الدنيا، لأنه بما أنه عقَد عقْدَ بيع لنفسه مع الله، فمن مقتضيات هذا البيع أن يُسلِمَ نفسه له في أي لحظة يريدها مولاها ومشتريها العظيم الكريم.

عاشراً: البصيرة البصيرة ثم الجهاد

حركة المجاهد حركة واعية ومستبصرة، وتتحرك بحسب مقاييس الدين ومواصفات الإسلام في الطريق التي اختطها الله، إنها (سبيل الله)، ومن لا يتحرك في هذا السبيل تحرّك في سبيل الشيطان أو الهوى أو العصبية، لهذا يجب أن يُلِمّ المجاهد بأهدافِ جهاده، يدرك لماذا يقاتل هؤلاء، ولماذا يتحرك في الميدان ضدهم، ولو على سبيل الإجمال، وقف الإمام زيد خطيبا في ذلك النفر الذين نصروه، يثقّفهم وينمي وعيهم الجهادي، قائلا: "...عباد الله لا تقاتلوا عدوكم على الشك فتضلوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة البصيرة ثم القتال، فإن الله يجازي عن اليقين أفضل جزاء يجزي به على حق، إنه من قتل نفسا يشك في ضلالتها كمن قتل نفسا بغير حق"[1].

لو بحث كثيرٌ من المقاتلين ولا سيما المرتزِقة منهم خلف

---

(١) الإمام زيد، مجموع رسائله.

حيثيات مواقفهم القتالية لوجدوا أنهم في حقيقة الأمر يقاتلون في سبيل الطغاة والظالمين ومشاريع الاستكبار العالمية، وأنهم وقود في المعركة الخاطئة.

هذا لا يعني أن يجمّد الرجل نشاطه الجهادي حتى يتحصل له علم اليقين رأي العين، بل عليه أن يبحث هل يمضي مشروعه تحت راية هدى، أم تحت راية ضلالة وطاغوت واستكبار، وعلى المجاهدين أن يساعدوا بعضهم بعضا في تنمية وعيهم الديني والجهادي والثقافي، وكل ذلك جهاد وخير يؤتي الله عليه أجرا كبيرا.

حادي عشر: ينتظر إحدى الحسنيين

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢]

ليس في حركة الجهاد خسارة حقيقية، فكيفما كانت النتيجة المادية فهو نصر وربح مادي أو معنوي، ونجاح وتوفيق، وإصابة لمراد الله عز وجل، مادام المجاهد مرتبطا بالله ولم يخرج إلا ابتغاء رضوان الله، وعند

استبساله والتزامه بأوامر الله وصبره وثباته في الزحف يكون قد حقق هذا الهدف العظيم، وأجره قد ثبت عندالله، سواء انتصر المجاهد ماديا أو لم ينتصر، بل ناله حظ الشهادة، فهذه الهزيمة الظاهرية التي نالها المجاهد فتحت له بابا أعظم وخيرا أكبر وأجزل، إنه باب الشهادة.

يثق المجاهد في حركته مع الله بنصره تعالى، ويعلم أن النصر من عنده سبحانه، حيث هو القادر على كل شيء، وبيده مقاليد كل شيء، ولا تأثير للمظاهر المادية من عدد وعدة في النصر وحسم المعركة النهائية، وإن كان الله قد أمره بالإعداد المادي بحسب استطاعته ثم ما عليه إلا التوكل عليه سبحانه وتعالى.

خرج المسلمون إلى بدر بـ٣١٤ مقاتلا، أمام ١٠٠٠ مقاتل من المشركين بعدة أقوى وأكثر، فنصرهم الله عليهم، وهم قلة، حينما صبروا واتقوا الله، ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ، بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم**

مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ، وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٣-٢١٧].

لقد أمدهم الله بملائكته، الذين أصلا ما جعلهم إلا بشرى وتطمينا قلبيا، لقد كان الله معهم بأن أمدهم بنصر معنوي، ثبّت العزائم، وطمأن القلوب، هذا الإمداد المعنوي من الله يأتي نتيجة الارتباط بالله، والتقوى، والصبر، والانضباط للتعليمات الشرعية، حينئذ يتدخل الله بتأييده، ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم﴾، لكن يجب أن نلاحظ أنه مع وجود الملائكة يقول الله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

إذا يثق المجاهد الواعي بنصر الله ويعلم أن عليه بذل أسباب النصر فقط، وأن الله ناصره بدون شك، فالنصر حليف المؤمنين، ويعي أيضا أن الهزيمة المادية في بعض المعارك لا تدل على أن الله ليس معه، أو على أن قضيته

التي قد استبصر سلفا فيها قضية غير محققة، لقد كانت هناك انتكاسات مادية جزئية في تاريخ الإسلام، في أحد وفي حنين مثلا، لكنه كان النصر في آخر المطاف حليف المسلمين على الكافرين، فعلى المجاهد أن يعي ذلك جيدا.

ليس المجاهد مكلَّفا بالنصر المحتوم؛ لأن ذلك بيد الله وليس بيد أحدٍ غيرِه، ولكنه مكلَّف بفعل أسباب النصر المادية، من إعداد العدة، والتخطيط والتنفيذ الجيدين، والمواجهة والثبات، والأهم من ذلك أن يبذل الأسباب المعنوية من الارتباط بالله، والالتزام بأوامره، وتجنب معاصيه، وذكره والالتجاء إليه سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد: ٧]، ثم إذا حصل بعد كل ذلك انهزامٌ أو تراجعٌ فإن هذا ينبئ عن خلل في الأداء أو يريد الله التمحيص لعباده المجاهدين، أو يريد معاقبتهم على خطأ وقع فيه بعضهم، بيد أنه في هذه الحالة والتي تبدو سيئة فإنه سبحانه وتعالى قد فتح لهم بديلا حسنا لا يقل عن

الانتصار المادي، إن لم يفُقْه، إنه باب الشهادة العظيم أوسع وأجمل وأفضل وأكرم البوابات التي يعبر منها المؤمن إلى الله في الآخرة.

قد تكون الحكمة من وراء تلك الهزيمة أن يتخذ الله شهداء ويصطفيهم، وقد يريد التمحيص و(الغربلة) للمجاهدين، ليتميز المجاهد الصابر عن المتردد الخائر، يقول الله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران١٤١]، يريد الله من وراء هذه الهزيمة الظاهرية تمحيص المؤمنين وابتلاءهم، أو يؤدبهم ليصلحوا أخطاءهم، ويراجعوا أداءهم، ويصلحوا مسارهم، أو ليميز الله الخبيث من الطيب ليتساقط ما علق بهم من المنافقين، ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٧]. فالدنيا دار ابتلاء وتكليف وصبر ومكابدة، وتمحيص.

إذن لم يخرج المجاهد في خاتمته عن إحدى الحسنين النصر أو الشهادة وفي كل خير، والله يقضي ما يريد.

ثاني عشر: يستبشر بالشهادة باعتبارها إختيار الله

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء﴾ [آل عمران: ١٤٠] .

من آثار الشهادة أنها تحيي الهدف الذي قُتل من أجله الشهيد، فكم شهيد في قضية عادلة ظن الظالمون أنهم حققوا لأنفسهم به نصرا سرعان ما تبين أنهم إنما نصروا قضيته وأحيوا موقفه، ألم يحي الإمام الحسين عليه السلام ومن بعده الإمام زيد عليه السلام وكثير من أئمة أهل البيت معاني الإسلام وقيمه الرائعة، وأهدافه العالية من وراء استشهادهم، بعد أن أوغل بنو أمية والسلطات الظالمة في طمس معالم الإسلام.

إن للشهيد مكانة عالية ومنزلة رفيعة لا يوفَّق لها إلا من اختصهم الله من خاصة أوليائه، ولا زالت الشهادة في سبيل الله أمل الصالحين؛ لأنها أقرب وأكرم الطرق إلى لقاء ربهم، ومجاورة رسله، والفوز بالنعيم المقيم، وأكثر ما يعوقنا عن الجهاد هو خوف الموت والقتل، مع أن الموت آت لا محالة، بل لا سبيل إلى النجاة من الموت إلا بالشهادة في سبيل الله، فالشهيد ليس بميت، ألم يقل الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا**﴾، ويؤكد هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿**بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾، يجري عليهم الرزق، ولا يجري الرزق إلا على من هم أحياء. ثم يحدثنا عن حياة هؤلاء الأحياء أنهم ﴿**فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٧٠-١٧١].

الشهادة منحة الله لسائر عباده التي بها يمكنهم الترقِّي إلى معارج ومصاف الأنبياء والشهداء، إنهم خاصة الأولياء، وهي الموت الذي يعبُر منه الأولياء إلى الخلود في الحياة، فإذا كانوا قد أحبوا الموت ومغادرة هذه الحياة ابتغاء سبيل الله فإن الله أعطاهم الخلود جزاء على هذا الاستعداد الكبير.

سمى الله القتيل في سبيله شهيدا، وشهِد بمعنى حضر، ولأن الشهيد حضر في الموقف الحق الحضورَ القويَّ والفاعلَ بأغلى ما لديه، وهي نفسه وماله، رفعه الله بأن سماه شهيدا، أي حاضرا في الموقف الحق الحضورَ الفاعلَ الكامل، ثم كتب له الحضور والشهود الكامل أيضا في حياة البرزخ، فهو حاضر فيها حي يُرْزَق له أجرُه ونورُه، ثم هو أيضا في الآخرة حاضرٌ حضورا كاملا وشاهدٌ وموجودٌ، إن الشهادة التي يبدو صاحبها غائبا عن الوجود الزائف في الدنيا هي في الحقيقة حضورٌ قوي ودائم مع الله ووجودٌ مستمر أبديٌّ في رضوانه تعالى، في الدنيا ثم في الآخرة، وهو جزاء وِفاقٌ كتبه الله لهذا الصنف من

الناس، الذين ضحَّوا بوجودهم من أجل وجود الآخرين، وشهدوا مواقف الحق تبارك وتعالى فأبدلهم الله بهذه التضحية بأن جعلهم موجودين دائما حاضرين في كل موقف وحياة؛ يقول الله تعالى عنهم: ﴿**بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾، ويقول عز من قائل: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾ [الحديد: ١٩].

في قمة حضور الشهيد وشهادته في جنب الله لم يكن يخاف القتل والتغيُّبَ عن هذه الحياة، ولم يمنعْه هذا القتل عن تقديم أغلى ما لديه؛ لأن الموت في سبيل الله تعالى كان أغلى أمانيه، مثلما كان عليه الأسلاف من أئمة أهل البيت سلام الله عليهم وشيعتهم رضوان الله عليهم، لقد ظل الإمام علي عليه السلام يطلب هذه الشهادة منذ أول يوم في الإسلام.

قال يوما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أو ليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين، و حيزت عنّي الشّهادة، فشقّ ذلك عليّ، فقلت لي: (أبشر فإنّ الشّهادة

من ورائك) فجدّد له الرسول ﷺ التأكيد بنيله للشهادة لاحقا، قال له: (إنّ ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن؟)، أجاب الإمام علي إجابة العاشق الولهان لتلك الغاية العظيمة والنهاية المشرِّفة، قائلا: يا رسول اللّه، ليس هذا من مواطن الصّبر، ولكن من مواطن البشرى والشّكر"[1]؛ لهذا لما نال شرف الشهادة عندما ضربه ابن ملجم صاح: "فزت ورب الكعبة"، لأنه ظفر بشيء ظل عمره يبحث عنه ويتشوّق إليه.

لقد اعتبر أهل البيت الشهادة عنوان خير وموضوع كرامة، يقول الإمام الحسين عليه السلام: "القتل لنا عادة، وكرامتنا من اللّه الشهادة"، وفضلوا دائما القتل في سبيل اللّه على الموت على الفراش، لتعلّقهم بما عند اللّه وانشدادهم إلى رضوانه تعالى.

وهذا لا يعني أن يفرّط الإنسان في ضمان سلامته الشخصية أثناء تحركه الجهادي، فهذا رمي بالنفس إلى

---

(١) نهج البلاغة خطبة رقم١٥٤.

التهلكة، وتفريطٌ لا يرضاه الله، وهو تمكين للأعداء أن ينالوا من أولياء الله، فالإمام علي وهو ذاك الذي كان يتشوّق ذلك التشوق للشهادة، كان في حروبه حذِرا، يتلفت أثناء قتاله يمينا وشمالا، ولا يكاد يظفر به أحد لشجاعته وحذره، وما أجمل المجاهد الذي يتحرك ومقصوده الأعظم كف بأس الذين كفروا، وزلزلة أركانهم، وتأمين المسلمين، ما أجمله وهو يحقّق ما ورد في دعاء الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام والذي يقول فيه معلما لنا: "فَإنْ خَتَمْتَ لَهُ بالسَّعَادَةِ، وَقَضَيْتَ لَهُ بالشَّهَادَةِ، فَبَعْدَ أَنْ يَجْتَاحَ عَدُوَّكَ بالْقَتْلِ، وَبَعْدَ أنْ يَجْهَدَ بهِمُ الاسْرُ، وَبَعْدَ أن تَأمَنَ أطرَافُ المُسْلِمِينَ، وَبَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ عَدُوُّكَ مُدْبِرِينَ".

ثالث عشر: يثبت في الزحف

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦].

يعتبر المجاهد الفرار من الزحف وتخلية الموقع الجهادي أمرا فظيعا وحدثا مستنكرا، إنه بحسب القرآن جريمة لا تضاهَى، ومعصية خطيرة، ومن أقبح الأعمال عند الله، وموبقة كبيرة من الكبائر الموجبة لغضب الله والخلود في العذاب الأليم، وهو فضيحة عند أولي النخوة والأحرار من جميع الملل والأجيال.

في معركة من معارك الإمام الهادي يحيى بن الحسين فرّ أصحابه إثر هجوم كاسح من أعدائهم، فثبت هو كالجبل الراسي وحيدا يقاتلهم بمفرده، فلما رآه أصحابه عادوا وقاتلوا فانتصروا على عدوهم، وكان ثباته سببا

في انتصارهم ونجاتهم من القتل[١]، وكان الإمام يدرك جيدا أنه لو ترك موقعه وفرّ كما فعل أصحابه للحِق بهم العدو وقتلوهم وأثخنوا فيهم قتلا، وهزموهم شر هزيمة، ولربما طووا بساط الإسلام ومشروعه الكبير بسبب هلعٍ بسيط، وخطإ في بعض التقدير.

إن فرار مجاهدٍ واحد قد يؤدي إلى فتح ثغرة لا تنتهي إلا بهزيمة جيش المسلمين، ويؤدي ذلك إلى انهيار المسلمين وهزيمتهم وخسارة مواقفهم والتسبب في الهزيمة النهائية؛ لذا لا غرابة أن فظّع الله أمر الفرار من الزحف وجعله معصية كبيرة؛ ولهذا نرى المجاهدين العظماء يثبتون في مواقعهم ولا يخرجون منها إلا شهداء أو منتصرين.

ويلحق بذلك كل ما يمكن أن يؤدي إلى الإخلال بموازين القوة العسكرية لجيش المسلمين على الأرض من البوح بأسرارهم أو الاستجابة للضغوط الإعلامية والنفسية التي يمارسها العدو لقتل المعنويات العالية لدى

---

(١) سيرة الإمام الهادي.

المجاهدين من خلال الشائعات والإعلام، في هذه الحالة يظل المجاهد الحق صندوقا حريزا وحصنا منيعا لأسرار المسلمين وخططهم حتى لو وقع في الأسر؛ وأجهدوا به الضرر؛ لأنه يدرك أن كلما يناله من ضرر أو أذى في سبيل الحفاظ على هذه الأسرار فإنه مهما بلغ من السوء فسيكون أقل بكثير من سخط الله، وخسارة رضوانه تعالى، والله يمد الصابرين الذين وقعوا ضحية البلاء بصبر عظيم وتحمُّل كبير، يقتدرون به على اجتياز هذه المحنة الطارئة، وما عليه إلا الصبر.

رابع عشر: ينتظر الفرج من الله

يتقلب المجاهد على متن الأحوال المتغيرة برضاء واطمئنان، فهو في حالة النصر والسراء فرِحٌ بنعمة الله، ويشكر الله عليها بمزيد من العطاء، وهو في حالة التراجع والشهادة، يحمدالله عليها ويرى أنها محنة يؤجر عليها، وتوفِّر له مقام الصبر المحمود على البلاء، فهو دائم الرضا، كثير الطمأنينة.

وهو أيضا في حالة الشدة والبلاء وفي حالة الألم والعناء ينتظر فرج الله، ويحلّق في عالم الثقة بالله تعالى ووعده الحسن للمجاهدين الصابرين على البلواء، وله في رسول الله الأسوة الحسنة، حاصره الكفار هو وصحابته في المدينة المنورة وجاءت جيوشهم من أعلاها وأسفلها، فزاغت أبصار المسلمين من شدة المصيبة، لكن رسول الله كان في تلك الحالة يعيش حالة الطمأنينة بقدر ما لديه من الأمل في الله عز وجل، وفتح الله له عندئذ آمالا واسعة، وآفاقا رحبة.

إن المجاهد هو ذلك المؤمن الذي وصف رسولُ الله مقامَه وإيمانه بحسن ما أعد الله لأوليائه من النصر والتمكين، يقول الرسول ﷺ: «أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله»[1]، هو يثق كمال الثقة أن الحياة متغيرات ولا تجري على سَنن واحدة، فالترحة تعقبها فرحة، وللباطل صولة ثم يضمحل، و ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾، ولن يغلب عسر يسرين.

---

(١) رواه الإمام علي بن موسى الرضا في الصحيفة.

خامس عشر: يتزود بخير الزاد

التقوى هي الزاد القلبي الذي يعطي المجاهد دافعا إلى التحرك المنضبط بضوابط الشرع، وهي الذخيرة الإيمانية التي تحافظ على نقاوته ونظافة حركته، إنها الخشية والخوف من الله، وهي الرجاء والأمل فيه، وهي الجهاز الرقابي المحاسبي في المؤمن الذي يسعى به نحو الطاعة وينأى به عن المعصية، وهي المعين الذي يزود صاحبه بالدافعية للانطلاق، والحماية للأعمال، والكبح للتجاوزات، تعين المخطئ حتى يقوم من خطئه، وتبصِّره بدائه، وتسد نقصه، وتعالج جرحه، وتقوِّم كبوته، وتصحِّح هفوته، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٠١].

يعطي القرآن للتقوى مساحة واسعة في حركة المؤمن الملتزم، ولا يكاد يخلو أمر بواجب، ولا نهي عن معصية إلا وهو مقرون بالتقوى، وفي الجهاد لا يمكن أن يكون

المجاهد بغير تقوى، ولا يمكن أن يحرز التقوى مَنْ تخلّى عن الجهاد، فالجهاد جزء من أجزاء التقوى، وثمرة من ثمارها، وهي سبب في وجود المجاهد على أرض الجهاد.

يقول الإمام علي عليه السلام: "إن تقوى الله حمت أولياء الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت لياليهم، وأظمأت هواجرهم، فأخذوا الراحة بالنصب والتعب، واستقربوا الأجل فبادروا بالعمل، وكذّبوا الأمل فلاحظوا الأجل"، إنها الخشية من الله عز وجل، وحالة الانكسار والخشوع التي يجب أن يعيشها المجاهد أمام الله سبحانه ليتزود منها القوة الدافعة إلى الخير، والمانعة من الشر، ليستفيد منها المؤمن حالة التوازن والاستمساك بالفطرة التي فطره الله عليها.

إنها معين يجب أن يتزود منه المجاهد في كل مواقفه الجهادية، ﴿**وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾ [البقرة١٩٧]، وما أشد حاجة المجاهد وهو يغالب نوازع الاشرار ويعارك وحشيتهم أن يكون على قسط كبير من التقوى، ما أعظم حاجته إليها حيث تكثر

معاناته وآلامه ومضائق مسالكه، والتقوى هي النجاة من جميع الهلكات، ولا هلكة أخطر من الوقوع في سخط الله، ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾ [الطلاق: ٢].

حين تتمكن التقوى من فكر وسلوك وقلب المجاهد، فلوا اجتمعت عليه جيوش النفس الأمارة بالسوء، ورهج ملذات الدنيا، وجحافل الشيطان، وأرادت أن تقتحم حصن تقواه الحصين، فلن تستطيع إلى ذلك سبيلاً، فمن تمكّنت التقوى من قلبه، واستحكمت في جوارحه، وخالطت عقله ونفسه، مخالطة المتسلّط القوي، فإنها ستذهب به إلى اقتفاء الصراط السوي، وتدعوه نحو المنهج الواضح الرضي.

هناك من يتصور أن التقوى هي حالة التشكك والتردد التي تعتري بعض المتظاهرين بالدين أمام أعداء الله، وهو مفهوم خاطئ للتقوى، يجب أن يبرأ منه المجاهد، فالمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، ومواقف الجهاد لا تحتمل تردُّد المرضى، ولا تلكؤ المتشككين، إن التقوى

تقتضي من المؤمن أن يكون على بصيرة من أمره، ويقين من دينه وموقفه، ثم أن يكون على قوة في تنفيذه وفي حركته الجهادية، فمن يتردَّد في التحرك المطلوب يناقض التقوى، ولا يعرف أحكام الهدى، ألم يكن الإمام علي عليه السلام قويا في مواقفه الجهادية، وهو في المحل الأعلى من التقوى؛ إن الله حين كلف بعض عباده السابقين أمرهم أن يأخذوا ذلك التكليف بقوة، والجهاد موقف قوي يحتاج لإظهار القوة وممارستها، إن الآية: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ٦٣]، تأمر بني إسرائيل أن يأخذوا وحي الله وهديه بقوة لعلهم يظفرون بالتقوى، الآية صورت التقوى باعتبارها ثمرة أو غاية من ثمار أو غايات التحرك الجاد والقوي في سبيل الله.

ومع ذلك فالتقوى هي التي تكبح جماح الغاضبين، والمنفعلين سلبا في ساحات الجهاد، فهناك من الأعداء من قد يستفزك ويمارس عليك وعلى أصحابك أخطاء قد تطيش معها عقول من لم تتمكَّن التقوى من قلوبهم،

وهنا يأتي دور التقوى لتحفظ تحركهم الجهادي في إطار التحرك المراد والمطلوب والمنضبط وضمن المقاييس الإلهية التي ارتضاها الله عز وجل.

سادس عشر: يتمسك بالقرآن والعترة

ينطلق المجاهد في حركته الدائمة مع الله من أن عدل الله وحكمته اقتضت أن لا يترك عباده هملا؛ فأمدهم بنور الرسالات، وجاءتهم رسله تترى، يهدونهم إلى الطريق القويم والصراط المستقيم، وكانت مهمة هؤلاء الرسل عليهم السلام هو تعليم العباد لكيفية تقديم الشكر لله على نعمه، والسير على منهاج الفطرة التي فطرهم عليها، كما يعتقد المجاهد أن خاتم الرسالات السماوية رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم سيد المجاهدين، والنبي الرحمة لجميع العالمين، وأنه حين غادر هذه الأمة تركها على المحجة البيضاء، وقد دلها على رشدها القويم، الذي لن تضل إما تمسكت به واقتفت أثره.

لم يترك الرسول ﷺ أمته بدون أن يضع لها ملامح الخير ومنهج الرشد والصلاح في خضم هذه الأمواج المضطربة والأهواء المتشتتة، فبيّن لهم طريق النجاة ومنهاج الصواب، ونصح الأمة وكشف الغمة، وبيّن راية الحق، لقد دلنا على سفينة النجاة التي تمخر عباب الضلالات الكثيرة والمنتشرة، فمن ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى؛ ذلك أنه وضع الثقلين كتاب الله وعترته باعتبارهما معلمَي حق، ودلالتَي رشد، الثقل الأكبر كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه، والثقل الأصغر عترته أهل بيته، حيث يقول ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، وهو حديث مجمع على صحته من علماء الأمة جميعا، وعليه فإن المجاهد - وهو يرى رايات الجهاد المختلفة والمتناقضة- يمكنه الوقوف على أعلام الجهاد الحقيقي الشرعي، بالقيادة الشرعية التي طمأننا الرسول ﷺ أنها لن تكون على ضلالة أبدا، وعليه

فكل راية لا تهتدي بنور الله، ولا تحمل ثقافة القرآن، ولا تنتمي إلى أهل بيت رسول الله فهي راية يجب تجنبها، وهي راية غير مؤتمَنة، يقول رسول الله ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى، ومن قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال»[١]، و «أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء فويل لمن خذلهم وعاندهم»[٢].

---

(١) أخرجه الإمام الهادي في الأحكام، والإمام أبو طالب في الأمالي، والإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية، وابن المغازلي الشافعي في المناقب، والحموئي في فرائد السمطين، والطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرك عن أبي ذر الغفاري، وأخرجه أبو نعيم في الحلية، والطبراني في الكبير، والطبري في ذخائر العقبى، عن ابن عباس. والطبراني في الصغير عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه الإمام علي بن موسى الرضا في الصحيفة، والطبري في ذخائر العقبى عن علي عليه السلام، وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن أنس بن مالك، وأخرجه ابن المغازلي الشافعي في المناقب عن سلمة بن الأكوع بألفاظ متعددة.

(٢) أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي من طرق عن سلمة بن الأكوع، وأخرجه كذلك الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية، ويعقوب في

هذا فضلا عن أننا نقاتل رايات التحالف السعودي الأمريكي الإسرائيلي الذي يؤيده أشرار العالم، وفجاره، وهم هم من بدأونا بالبغي والعدوان، فما أضل تلك الرايات التي ركزت البغي علما، ونهجت الظلم والفظاعة سبيلا، والله معنا ولن يخذلنا بعونه تبارك وتعالى.

عليك أيها المجاهد أن تدرك من خلال القرآن الكريم أن النصر يكون مع حزب الله الذين يتولون الله ورسوله والذين آمنوا، ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦] ، وقد جاءت الروايات من علماء الإسلام أن المقصود بالذين آمنوا في الآية الكريمة هو

المعرفة والتاريخ، قال المحمودي: ورواه مسدد وابن أبي شيبة وأبو يعلى كما في المطالب العالية، لابن حجر، وجمع الجوامع للسيوطي، وينظر الحموئي فرائد السمطين، والحاكم في المستدرك، الأحكام للإمام الهادي يحيى بن الحسين.

الإمام علي عليه السلام الذي تصدق بخاتمه راكعا[١]، ولهذا يوجب المجاهد على نفسه أن يتولى هذا الولي، الذي أعلنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وليا للمؤمنين في غدير خم، كما في الحديث المتواتر والمجمع على صحته، قائلا: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله وأدر الحق معه حيثما دار»، وقال: «علي مع الحق، والحق مع علي»[٢]، والإمام علي هو رمز الأئمة من أهل بيت رسول الله من ورائه، فمن لا يتمسك بهم لا يأمن الوقوع في الضلال، والتخبط في أودية الضياع، ومن تمسك بهم من المجاهدين اطمأن أنه ماض في الطريق التي ترضي الله عز وجل.

---

(١) ذكره الثعلبي والماوردي والقُشيري والقزويني والرازي والنيسابوري والفلكي والطوسي والطبري في تفاسيرهم عن: السدّي ومجاهد والحسن والأعمش وعقبة بن أبي حكيم وغالب بن عبدالله وقيس بن الربيع وعباية الربعي وعبدالله بن عبّاس وأبي ذرّ الغفاري.

(٢) أخرجه الإمام أبو طالب في الأمالي، والحموئي في فرائد السمطين، والدولابي في الكنى، وابن عساكر في ترجمة الإمام علي، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، والطبراني في المعجم الكبير، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد، وآخرون.

يفسر السيد الشهيد حسين بدر الدين الحوثي رحمه الله الموالاة بأنها المعية، حين تشعر بأنك في هذا الجانب، وتؤيده، وتتجه إليه، إنها المعية في الموقف، والمعية في الرأي، والمعية في التوجه، والمعية في النظرة، هي حالة نفسية تتحول إلى مواقف، وتنعكس بشكل مواقف، وتعتبر في حد ذاتها مهيئة لمجموعة من الأشخاص ولمجاميع من الناس ممن هم على وتيرة واحدة في الموالاة أن يكونوا على أرضية صالحة لانتشار توجُّهٍ من التوجهات[1].

إذن ليكن المجاهد صاحب معية للقرآن وأهل البيت سلام الله عليهم الذين يحيون ما أحياه القرآن ويميتون ما أماته، حيث القرآن والعترة لن يفترقا حتى ورود الحوض يوم القيامة.

نصر الله اليمن ومجاهديها الأبطال، وهزم الله أحزاب التحالف المعتدي الظالم الباغي، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمدلله رب العالمين.

---

(١) ملزمة الموالاة والمعاداة.

الفهرس

المقدمة - - - - - - - - - - - - - - - - - ٥
فكر المجاهد وروحيته - - - - - - - - - - ٧
أولاً: يستشعر معية الله دائما (لا تحزن إن الله معنا) - - ٨
ثانياً: يؤمن بالله وينزّهه ولا يتوهمه - - - - - - ١٥
ثالثاً: يتحرك في ظلال العدل والحكمة - - - - - ١٩
رابعاً: يعبِّر سلوكه عن إيمانه باليوم الآخر - - - - ٢٣
خامساً: يعتقد مسؤولية المكلفين واختيارهم - - - - ٢٥
سادساً: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر - - - - ٢٦
سابعاً: تائب منيب إلى الله - - - - - - - - - ٢٧
ثامناً: يخلص له الدين - - - - - - - - - ٣١
تاسعاً: يطلب الآخرة - - - - - - - - - - ٣٤
عاشراً: البصيرة البصيرة ثم الجهاد - - - - - - ٣٨
حادي عشر: ينتظر إحدى الحسنيين - - - - - - ٣٩
ثاني عشر: يستبشر بالشهادة، باعتبارها اختيار الله - ٤٤
ثالث عشر: يثبت في الزحف - - - - - - - - - ٥٠
رابع عشر: ينتظر الفرج من الله - - - - - - - ٥٢
خامس عشر: يتزود بخير الزاد - - - - - - - ٥٤
سادس عشر: يتمسك بالقرآن والعترة - - - - - - ٥٨
الفهرس - - - - - - - - - - - - - - - - ٦٥